القلائد الطريفية في الفوائد العلمية

أشراط الساعة: رواية ودراية -١-
فضيلة الشيخ
عبد العزيز بن مرزوق الطريفي

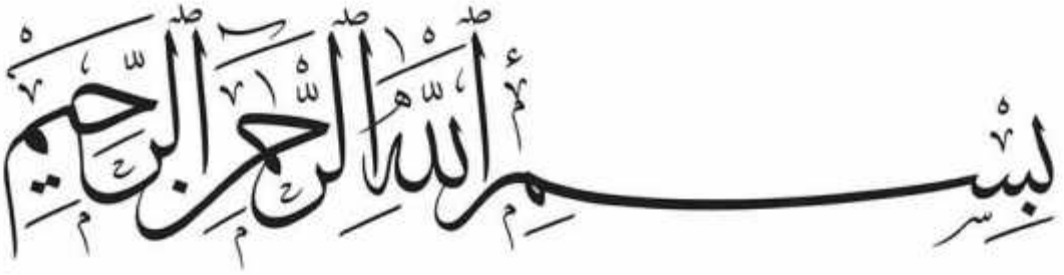
بسم الله الرحمن الرحيم

أشراط الساعة: رواية ودراية -١-

بسم اللّه الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى اللّه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فهذه فوائد انتقيتها من الدرس العلمي: "أشراط الساعة: رواية ودراية" وهي متعلقة بأشراط الساعة وعلامتها، وأسال اللّه تعالى أن ينفع بهذه الفوائد ويكتب لها القبول ولعلنا إن شاء اللّه نجعل سلسلة من الفوائد العلمية من محاضرات ودروس لشيخنا عبدالعزيز الطريفي-حفظه اللّه-.

١. ولا يؤمن أحد بالإسلام على وجه الحقيقة ويثبت معه حينئذٍ وصف الإسلام إلا ويؤمن بأن الغيب من خصوصية اللّه سبحانه وتعالى.

٢. فعلم الساعة هو من خصوصية اللّه جل وعلا فمن نازع اللّه جل وعلا في هذا الباب أو في شيء من فروعه وادعى علم ذلك فقد أشرك مع اللّه عز وجل غيره وكفر حينئذٍ بنبوة محمد صلى اللّه عليه وسلم.

٣. ومن نظر إلى نصوص الكتاب والسنة وجد أن اللّه جل وعلا يطلق الساعة ويريد بها القيامة وهذا ظاهر وقد ذكرها اللّه جل وعلا في مواضع عديدة وصور متنوعة

ويريد بذلك يوم القيامة وكذلك جاءت في كلام رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في مواضع متعددة وهي على الأكثر المراد بها قيام الساعة وتأتي في غير ذلك وهي في كلام رسول اللّه صلى اللّه وعليه وسلم ليست كما هي على الإطلاق في كلام اللّه جل وعلا ففي كلام اللّه لا تأتي إلا بمعنى القيامة وأما في كلام رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فتأتي على معنيين:

المعنى الأول: معنى قيام الساعة وهو المراد في كلام اللّه جل وعلا.

المعنى الثاني: يراد بها الساعة الزمنية والزمن في اليوم والليلة يقسمه العرب في الجاهلية والإسلام على أربع وعشرين ساعة فالنهار اثنتا عشرة ساعة والليل كذلك ويزيد وينقص بحسب فصول السنة وله معنى ثاني في لغة العرب وهي: الفترة الزمنية من النهار ومن هذا المعنى اشتق لقيام الساعة وكذلك وصف الساعة يوم القيامة بهذا الوصف أنها تأتي سرعة ووقتاً زمنياً يسيراً فلا يشعر به الإنسان فيكون عامل الفجأة في ذلك أظهر من غيره.

٤. وقد ذكر اللّه سبحانه وتعالى طاعة نبيه عليه الصلاة والسلام وقرنها بطاعته جل وعلا في ثلاثين موضعاً من كتابه العظيم.

٥. ينبغي لأهل الجهل أو عامة الناس أو حتى أهل العلم أن ينظروا في كلام العلماء العارفين الراسخين في العلم الذين جمعوا بين العلم والإيمان الإيمان والعبادة والعلم والرسوخ رسوخ القدم فيه حتى يكونوا على بينة من أمرهم فيحلوا هذه الأمور.

٦. وعلامات الساعة على الصحيح الواردة عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم تزيد عن مائة علامة.

٧. قد يكون في بلد من البلدان أشراط الساعة تظهر فيها أكثر من غيرها وأظهر علامات الساعة وأكثرها ظهوراً في بلاد الشام ويليها بعد ذلك بلاد الحجاز وهي مكة والمدينة ومن علامات الساعة مما يعم الأرض كلها كانتشار الفتنة وانتشار الإسلام في الناس وانتشار الضلال.

٨. الساعة من جهة الأصل قريبة وبأشراطها يُعرف دنوها وقد وصفها اللّه جل وعلا من جهة الأصل بالقرب.
وإذا كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم هو أول علامات الساعة من جهة مبعثه ووفاته عُلم أن الساعة من جهة الأصل هي قريبة ولكن القرب هذا يقترب بحسب العلامة.

٩. حذيفة بن اليمان رضي اللّه عنه لديه من الأخبار مما ليس لغيره حتى ممن هو فوقه من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كالخلفاء الراشدين الأربعة وغيرهم وقد خصه النبي عليه الصلاة والسلام بمعرفة المنافقين بأعيانهم ومعرفة حوادث الزمان وكذلك أبو هريرة عليه رضوان اللّه تعالى فهؤلاء وأمثالهم إذا حدثوا بشيء من أشراط الساعة فإن الغلبة أنه من النبي عليه الصلاة والسلام ولا يكون من قبيل الإسرائيليات.

١٠. والمقصود بالشام من أطراف العراق من جهة الغرب وكذلك ما تسمى بسوريا بجميع أطرافها وبلدانها وكذلك الأردن ولبنان وفلسطين وشيء يسير من شمال الجزيرة العربية داخلة في بلاد الشام.

١١. ولا يجوز أن يحتج على الإطلاق بأي حديث موضوع أو متروك أو منكر أو فيه كذاب أو ضعيف جداً أو تركه الأئمة ولو كان كذاباً ولو مرة واحدة فإنه لا يحتج به في أي باب من أبواب العلم ولو كان العلماء ممن يتساهلون في هذا الباب؟

١٢. والله عز وجل قد بين أن أمر الله عز وجل آتٍ فلا تستعجلوه يعني بالانتظار والترقب بل استعجلوه بالعمل كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (بادروا بالأعمال ستاً)، وفي رواية: (سبعاً).

١٣. فالمسارعة بالعمل قولاً وفعلاً واعتقاداً واجب على الإطلاق في كل زمن وفي كل عصر.

١٤. فأشراط الساعة تزيد من إيمان الإنسان وتقوي من عمله وتزيد من ثباته عند الفتن والمدلهمات.

١٥. ومعلوم أن من كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أتى بكبيرة من كبائر الذنوب بل قد ذهب بعض العلماء وهو قول لإمام الحرمين إلى أنه كافر خارج عن الإسلام وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كما الصحيحين وغيرهما من حديث جماعة من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام: (من كذب علي متعمداً

فليتبوأ مقعده من النار)، فكيف بمن كذب في حق الله لأن هذا الكذب هو كذب في حق الله محض وليس في حق النبي عليه الصلاة والسلام فحسب ولأن النبي عليه الصلاة والسلام لا علم لديه في هذا الأمر إلا ما علمه الله جل وعلا ولهذا ينبغي للمرء أن يحترز في هذا الباب ما لا يحترز في غيره.

١٦. وعليه يُعلم أن ما بين مولد النبي عليه الصلاة والسلام ومولد عيسى هو سبعمائة وخمسين وهذا ظاهر ولكن ما بين عيسى وموسى يفتقر إلى دليل ظاهر بين ولا دليل في ذلك.

١٧. ولكن المقطوع به أن عمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تزيد عن عمر بني إسرائيل مجتمعة وهذا نص صريح لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (إنما أجلكم) وجاء أصرح منه في خبر آخر في الصحيح في قوله عليه الصلاة والسلام: (إنما بقاؤكم) وهذا دليل على أن بقاء الأمة لا يزيد عن بقاء بني إسرائيل وهم اليهود والنصارى ويبقى هذا الأمر غيبي.

١٨. وبه يُعلم أن كل من زعم أن قيام الساعة في سنة معينة أو في يوم معين أنه معتدٍ على الله عز وجل بل هو كذاب أشر ولا يتجرأ على ذلك إلا عديم الإيمان ومنتفي الإيمان بالكلية ظاهر في النفاق وأما من يتكلم على سبيل الإجمال أن الساعة قد قربت ودنت فإن هذا هو ظاهر نصوص الكتاب والسنة وكذلك كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ممن كان خبيراً بسره وأمره عليه الصلاة والسلام.

١٩. ما في نفس الإنسان على نوعين:

ما يكون للإنسان من وساوس قد جلبها إليه بنفسه أي: بذات الإنسان وبمعنى آخر تولدت من الإنسان نفسه ومن الخواطر التي يوجدها الإنسان فهذه لا يعلمها الجن ولا الشيطان.

أما ما في نفس الإنسان من وساوس أوحاها له الشيطان من تسويلات وأهواء ومطامع ورغبات فهذه يعلمها الشيطان لأن أصلها من الشيطان أما ما في قلب الإنسان مثلاً من رغبة بالطاعة أو رغبة في العبادة أو رغبة في عمل المباح أو تفكير ونحو ذلك فهذا لا يعلمه الشيطان لأنه متولد من الإنسان ولا يصل إلى الشيطان إلا بوسيلة عرفت سبباً أو عرفت شرعاً ولا سبيل إلى الشيطان في هذا.

٢٠. ومن أراد أن يفهم الشريعة على وجهها فعليه أن يقرن مع القرآن السنة وإلا قد وقع في كثير من الضلال والغي.

٢١. الشريعة كلها من اللّه سبحانه وتعالى ومن قدح في السنة بالجملة فهو قادح بالقرآن ولهذا السنة هي قسيمة للقرآن وموضحة ومبينة له.

٢٢. أن اللّه جل وعلا مهما يظهر من آياته البينة والدلائل المعجزة إلا أن من ران على قلبه وختم اللّه جل وعلا عليه أنه لا يؤمن.

٢٣. وقيام الساعة على شرار الخلق متلازم لذهاب الصالحين وذهاب الصالحين هو من علامات الساعة وهو من أظهر شرائطها وأظهر ما يزول من الصالحين هم

أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وقبل ذلك سيد ولد آدم النبي عليه الصلاة والسلام.

٢٤. فقد جاء في البخاري من حديث الفضيل عن أبي حازم عن سهل بن سعد أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: (بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعه السبابة والوسطى)، وفي قوله عليه الصلاة والسلام: (كهاتين) يمكن تأويله على معنيين:

المعنى الأول: (كهاتين) أن هذا فيه إشارة إلى أصابع اليد فإن السبابة لا يليها إلا الوسطى أي: لا يلي مبعث النبي عليه الصلاة والسلام إلا التي تليها وهي الوسطى فلا يفصل بينها إصبع أخرى كالخنصر والبنصر أو الإبهام.

والمعنى الآخر: أن الفصل بين السبابة والوسطى هو مقدار يسير بينهما وذلك لا يكون إلا للسبابة مع الوسطى أي: أن المتبقي من الدنيا بالنسبة لعمرها كحال المتبقي من مبعثي وما من رأس السبابة إلى الإبهام وهذا يحتمل هذا التفسير.

وقد رجح الأول أكثر الأئمة من المحققين كالحافظ ابن رجب وغيره من الأئمة وهو الأظهر والثاني أيضاً محتمل وقد حمل هذا المعنى الثاني واستنبط عمر الدنيا.

٢٥. العالم يصدر نفسه بين الناس ولا يصدره الجهال وعلماء السوء يصدرهم الناس وهذا ظاهر في قوله عليه الصلاة والسلام: (اتَّخذ النَّاسُ رءوساً جُهَّالاً) أما العلماء فاللّه جل وعلا هو الذي يتخذهم.

٢٦. قد جاء في بعض الأخبار عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: (يكثر قراؤكم ويقل فقهاؤكم)، وهذا فيه إشارة إلى أن القراءة وحدها من مواضع الضلال في الأمة إذا لم يكن ثمة فقه.

٢٧. والمراد بمسجد بيت المقدس ما هو أوسع من ذلك وهو الحائط تاماً ويدخل فيه ما يسمى بمسجد قبة الصخرة ويدخل فيه أيضاً مسجد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عليه رضوان اللّه تعالى فكله يسمى المسجد الأقصى وبيت المقدس.

٢٨. وقد فُتح بيت المقدس مرتين: المرة الأولى في خلافة عمر بن الخطاب والمرة الثانية في خلافة صلاح الدين الأيوبي في القرن السادس من الهجرة، وسيفتح أيضاً في آخر الزمان كما أخبر بذلك رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

٢٩. ما يذكر في كتب التاريخ في مسألة قبة الصخرة ومسجد الصخرة فإن هذا لم يثبت فيه عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم شيء.

٣٠. وظهور المال واستفاضته قد ظهر في بعض الأعصار كما جاء في خلافة عمر بن عبد العزيز عليه رضوان اللّه وقد جاء في بعض الأعصار ومنها عصرنا حيث استفاض وظهر الشح وملك كثير من الناس أموالاً طائلة لم تعهد عند السابقين وهذا ظاهر.

٣١. والفتن هي أكثر أشراط الساعة وروداً على لسان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم على الإطلاق سواء على وجه الإفراد أو على سبيل الإجمال.

٣٢. ولهذا العالم الذي يلزم داره ولا يبرز للناس هو من أسباب فشو الجهل وقد أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بمخالطة الناس وإظهار المعروف فيهم.

٣٣. وقد وقع الطاعون ويسمى طاعون عمواس وهو في بيت المقدس بجوار المسجد الأقصى في العام الثامن عشر من الهجرة ومات فيه جماعة من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وخيارهم مات فيه معاذ بن جبل و أبو عبيدة و الفضل بن عباس وجماعة من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وقيل: إنه مات في ذلك الطاعون أكثر من خمسة وعشرين ألف رجل وامرأة وهذا عدد كبير جداً قل أن يحدث في التاريخ، وحينما عقب النبي عليه الصلاة والسلام مسألة الطاعون بعد فتح المقدس إشارة إلى أن هذا يعقب فتح بيت المقدس.

٣٤. جاء عند ابن أبي شيبة في كتابه المصنف من حديث منصور عن شقيق عن حذيفة قال: (ليوشكن أن يصب عليكم الشر من السماء حتى لا يدع بيتاً إلا دخله حتى الفيافي قالوا: وما الفيافي؟ قال: الأرض القفر) يعني: البوادي.
والذي يظهر لي واللّه أعلم أن المراد بذلك هو الإعلام وهو البث الفضائي سواء القنوات أو الإذاعات أو غيرها ويفسره ما جاء عند الإمام مسلم في كتابه الصحيح من حديث عروة عن أسامة قال: (صعد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أطام من آطام المدينة فقال: أترون ما أرى كأني أرى مواقع الفتن في بيوتكم كمواقع القطر) يعني: المطر إشارة إلى أنها تصيب كل موقع ولهذا يجري على ألسنة الناس مسألة أن القنوات هي تبث وتمطر على الناس ويستطيع الإنسان أن يأتي بها سواء في بيوت الشعر أو غيره.

٣٥. وأجمع العلماء على مشروعية قتالهم (الخوارج)، وأما الواحد منهم إذا ظهر هل يبادر بقتله ولو لم يقاتل أم لا؟

اختلف العلماء في هذا وهو روايتين في مذهب الإمام أحمد والصواب في ذلك أنه يبادر بقتله وهذا الذي رجحه جماعة من العلماء كابن قدامة و ابن تيمية وغيره من العلماء.

٣٦. ومن المعلوم أن جزيرة العرب جل وأكثر سكانها هم من رعاة الشاة فأصبح من هؤلاء ممن قد رعى الشاة يتطاول بالبنيان وهذا مشاهد.

ويوجد الآن من كبار السن من سبق له الرعي وهو الآن يملك ناطحات سحاب وهذا معلوم ولو سأل عنه الإنسان لوجد من ذلك أعياناً وإن لم يجد أعياناً لوجد من أصلابهم من يتطاول بالبنيان.

٣٧. وثمة أمران يرزق الله جل وعلا بسببهما الخير والرزق وينزل القطر من السماء والنبات من الأرض:

أولهما: على سبيل الاستدراج فإن الله عز وجل يستدرج من بغى وتعدى حتى إذا أخذه لم يفلته وقد جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام في ذلك الخبر: (إن اللهَ ليُملي للظالمِ ، حتى إذا أخذه لم يفلتْهُ).

ثانيهما: بسبب الخير والجهاد ومجالدة أعداء الله سبحانه وتعالى سواء من الكفرة أو من المنافقين فإن من ثمار ذلك التمكين في الأرض وأن يجعل الله عز وجل للأمة المكنة ومن أثر تلك المكنة أن يرزق الله الأمة ثمار تلك التمكين وهو خيرات هذه الأرض وجبايتها.

٣٨. الإنسان إذا كان صاحب إيمان وصاحب علم عصمه الله جل وعلا من الردة والانتكاسة وأما إذا كان من أصحاب العلم وليس من أصحاب الديانة والإيمان والعبادة فإنه يتقلب من حال إلى حال من أمين إلى خائن بحسب مطامع الدنيا.

٣٩. كثير ممن يتكلم عن أشراط الساعة يشير إلى كثرة القتل وفشوه في الناس ثم يستنبط جملة من المسائل منها ما يحدث في الأزمنة المتأخرة من الحرب العالمية الثانية وكثرة القتل والحرب العالمية الأولى وما حدث من ملايين من القتل وليس المراد ذلك والمراد من هذا هو القتل بين أهل الإسلام والدليل على ذلك في نفس الخبر لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (القاتلُ والمقتولُ في النار)، والكفرة الأصل فيهم أنهم في النار والإشارة هنا إلى قتل أهل الإسلام بعضهم لبعض ولهذا النبي عليه الصلاة والسلام قال: (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار) وهذا هو المراد هنا ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (لا يدري القاتل فيما قتل ولا المقتول فيما قتل) أي: لأي سبب قتل وسفك دمه.

٤٠. قول النبي عليه الصلاة والسلام: (حتى يكون الروم أكثر الناس)، لا أعلم من أشار إليه ولكن هو اجتهاد إن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي هو انتشار اللسان الأعجمي فالعربي هو من تكلم العربية ولو أكان أعجمياً ولهذا العرب تقول: الأعرابي من سكن البادية ولو كان أعجمياً والأعجمي من تكلم الأعجمية ولو كان عربياً في إشارة إلى تعلم الانجليزية وفشوها في الناس وبه نعلم أن ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام: (الروم أكثر الناس) هم ليسوا أكثر الناس عدداً وأقل الناس محاربة لسنن الله الكونية من سنة التكاثر الفطري يحاربون ذلك ولكن فشت لغتهم فأخذها سلوكاً كثير من العرب والعجم فتكلم بها بسبب الاستعمار أو الغزو

الفكري كثير من الناس وأصبحوا روما وإن كان أصلهم لا يرجع إلى ذلك العرق ولهذا المتأصل عند العرب أنه يكون الرجل عربياً إذا تكلم وانغمس معهم وتكلم العربية ويكون الرجل أعجمياً إذا انغمس مع العجم وتكلم الأعجمية وهذا ظاهر ومن يتكلم في أشراط الساعة يشير إلى مسألة العدد وليس هذا بظاهر.

٤١. ظهور البغي وجور السلطان يكثر في الأزمنة المتأخرة أكثر من الأزمنة المتقدمة.

٤٢. وولاة الأمر على صنفين في ظاهر الكتاب والسنة: أمراء وعلماء.

٤٣. وقوله هنا: (ما أقاموا فيكم الصلاة) فيه إشارة إلى أهمية تقدم السلطان في إمامة المصلين وهذا من الأمور والمسائل المهجورة في كثير من الأزمنة المتأخرة.
ومن مهمات السلطان: الإمامة في الصلاة وخطبة الجمعة وصلاة العيدين والاستسقاء كما كان على ذلك الخلفاء والأمراء على مر العصور إلى أزمنة متأخرة بل حتى إلى أيام الدولة العثمانية ثم بعد ذلك ظهر الانشقاق البين بين شقي ولاة الأمر.

٤٤. ظهور التعري في الأجساد دليل على ظهور التعري في الأخلاق وهذا لازم.

٤٥. وبه يعلم أن حقيقة فضل المساجد الذي دل عليه الدليل ما يلي:
أولها: المساجد الثلاثة التي دل الدليل على تضعيف العبادة فيها وهذه هي التي يشرع أن يخصها الإنسان بخصيصة من العبادة والذهاب ما لا يكون لغيرها للدليل الوارد فيها.
ثانياً: ما تكثر فيه الجماعة فإن الأجر فيه أفضل مما قل فيه ولهذا قال النبي عليه

الصلاة والسلام: (وصلاةُ الرَّجلِ معَ الرَّجلِ أزْكى من صلاتِهِ وحدَهُ وصلاةُ الرَّجلِ معَ الرَّجلينِ أزْكى من صلاتِهِ معَ الرَّجلِ) وهكذا.

ثالثاً: المسجد القديم أفضل من المسجد الحديث وقد جاء هذا عند أبي نعيم في كتابه الصلاة من حديث ابن سيرين قال: (كنت أذهب مع أنس بن مالك فنمر على مسجد فيقول: أقديم أم حديث؟ فإذا كان حديثاً تجاوزه إلى غيره وإذا كان قديماً صلى فيه)، وأما ما عدا ذلك فلا يشرع قصده لذاته إلا لعلة خارجة شرعية عنه كقصد طلب العلم أو عمارة ذلك المسجد وخصوصيته عن غيره بتعلم القرآن ونحو ذلك فإن هذا مما هو جائز ومندوب إليه.

٤٦. أن الأمة إذا وجد فيها العلم ووجد فيها الحق من الكتاب والسنة ووجد فيها من ينصح للّه حقاً كانت أهلاً لأن توصف بالخيرية.

٤٧. العلم يلزم منه العمل فإذا فسدت نية الإنسان في العلم فسدت نيته في العمل والعياذ باللّه.

٤٨. وأول ما يذهب من الأمة والمجتمعات التي توصف بمجتمعات مسلمة هو الحكم بما أنزل اللّه وهذا قد جاء عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كما رواه الإمام أحمد وغيره قال: (أول ما يذهب من الإسلام الحكم وآخر ما يذهب منهم الصلاة).

٤٩. الأصل أن ما يخبر به عليه الصلاة والسلام من الشروط في آخر الزمان أنه مذموم سواء ذماً يقتضي التحريم أو ذماً يقتضي الكراهة فهناك من الأعمال ما يخبر به النبي عليه الصلاة والسلام لا تقتضي تحريمه كتطاول الناس في البنيان

ولكنه مذموم للركون إلى الدنيا ولكن من نظر إلى ما أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام من أشراط الساعة وجد أن الغلبة في ذكر أشراط الساعة أنها تكون مذمومة وفي دائرة الذم ولكن هي مترددة بين التحريم والكراهة.

٥٠. ينبغي أن يعلم أن المساجد إنما بنيت لذكر اللّه هذا هو الأصل وما كان على سبيل التبع ولا على سبيل الاستقلال بمعنى أن الإنسان ما يقول: يا فلان! موعدنا في المسجد نتحدث في البيع فهذا ممنوع لكنه إذا أتى الإنسان إلى الصلاة ثم في دبر الصلاة تحدثوا في التجارات والأخبار وفي أمور الجاهلية وقد جاء في صحيح الإمام مسلم من حديث جابر أنه قال: (كنا نتذاكر أيام الجاهلية في مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فنضحك ولا يزيد النبي عليه الصلاة والسلام على أن يتبسم)، وتذاكر الأخبار في الجاهلية وذكر السلع والبيع والشراء من غير عقد فإن هذا مما لا بأس به على سبيل العرض لا على سبيل القصد.

٥١. وجمهور العلماء على حرمة اللعن بالعين وهذا هو الأولى ولكن لا حرج أن الإنسان يعرض فإذا جاء مثلاً ذكر امرأة سافرة أو ذكر شخص مرابي من غير التنصيص على اسمه فيقال: لعنة اللّه على آكل الربا وإذا جاء ذكر ظالم يقال: لعنة اللّه على الظالمين وإذا جاء ذكر امرأة أو شخص يأكل مال اليتيم يقال: لعنة اللّه على من أكل مال اليتيم ونحو ذلك من غير تنصيص يلعن الوصف ولا يلعن الشخص بذاته.

٥٢. وهذه التقسيمات الجغرافية الحديثة لا صلة لها بالأمصار النبوية التي تذكر في الأحاديث ومعلوم أن التقسيمات الإقليمية التي تحدث سواء من أبواب التنظيم السياسي أو التقسيمات الدولية وغير ذلك لا شأن لها ومعلوم أن الحجاز يمتد إلى

تبوك بإجماع أهل المعرفة من أهل الإسلام فتبوك تكون داخلة في أبواب الحجاز إلى المدينة وحكمها في سائر الأحكام كحكم الحجاز حكماً واحداً وإذا أخذت إلى جهة المشرق بدأت ودخلت في الشام وإذا نزلت يسيراً دخلت في بوابة مصر من جهة الشمال.

٥٣. ومن جهة الأصل فإن مطامع أهل الكتاب من اليهود والنصارى هي مطامع دنيا ويظهر أن غدرهم بالمسلمين هو لأجل مطمع في دنياهم وهذا ظاهر.

٥٤. تقدس السنة وتعظم كما نقدس معاني القرآن وذلك أن السنة من الوحي.

٥٥. وإذا ترك الناس السنة وتعلقوا فقط بالقرآن ضلوا لأن السنة هي المبينة للقرآن فإذا كانت أعظم مصيبة على البشرية منذ أن خلق اللّه آدم إلى قيام الساعة ادخرها اللّه جل وعلا على لسانه نبيه (المصيبة: الدجال) دل على تعظيم هذه السنة وجلالة قدرها.

٥٦. ولهذا ينبغي للإنسان أن يتشبث بظواهر الأدلة من كلام اللّه سبحانه وتعالى وكلام رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وألا يلتفت إلى أقوال الناس.

٥٧. واختلف كلام العلماء في هذا الرجل من قحطان هل هو منفرد غير المهدي وغير الجهجاه الذي يخرج؟

قيل: إنه الجهجاه وقيل في قول ضعيف: إنه المهدي وهذا روي عن ابن سيرين بإسناد فيه ضعف ولا يصح وبه يعلم أنه لا يصح في المرفوع ولا الموقوف لا عن

التابعين ولا عن أتباعهم بإسناد صحيح أن القحطاني هو المهدي ولا أن القحطاني هو الجهجاه ولا أن الجهجاه هو المهدي فلا يصح في ذلك شيء وإنما هي نصوص متباينة.

٥٨. والذي أجزم به أن القحطاني ليس هو الجهجاه وذلك أن قحطان قبيلة والجهجاه من الموالي فقد جاء في صحيح الإمام مسلم أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من الموالي يقال له: جهجاه) والموالي الأصل فيهم أنهم لا ينتسبون وقول النبي عليه الصلاة والسلام في الصحيح: (رجل من قحطان) يعني: أنه على ظاهره ينتسب إلى هذه القبيلة ويقر له بذلك الأمر وهناك قال: إنه من الموالي وقد أشار بعض العلماء إلى احتمال أن يكون القحطاني هو الجهجاه وفي ذلك نظر على هذا التعليل.

٥٩. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه).

أما اسم هذا الرجل: فلا يثبت فيه شيء وكذلك في موضع خروجه لا يثبت فيه شيء وكذلك في ظلمه أو عدله لا يثبت في ذلك شيء إلا جملة من القرائن ومن هذه القرائن قوله: (يسوق الناس بعصاه) فقيل: إن المراد بذلك هو إشارة إلى ظلمه وجوره وإلا الناس إذا كانوا يساقون طواعية عن هداية لا يحتاجون إلى عصا وسياط وهذا فيه إشارة إلى الظلم.

ومن قرائن ذلك ما أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام قال: (صنفان من أمتي لم أرهما قط: أقوام معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس) وهنا قال: (يسوق الناس بعصاه) وهذا فيه إشارة إلى أن سوق الناس بالعصا إشارة إلى الظلم والبغي

والظلم والبغي ليس من سيما ومن علامات أهل الصلاح ومن علامات أهل الصلاح أن يساق الناس وأهل الإيمان بالطاعة والإيمان.

٦٠. وجاء في بعض الروايات أنه رجل صالح (القحطاني) وفي ذلك أنه قد روى نعيم بن حماد في كتابه الفتن من حديث ابن قيس بن جابر عن أبيه عن جده أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: (يخرج رجل من قحطان وهو بعد المهدي وهو رجل صالح)، وهذا الخبر مردود وقد جاء في كلام بعض التابعين عند نعيم بن حماد أيضاً من قول عطاء بن المنذر أنه يكون بعد المهدي وهو رجل صالح وهذا لا يصح.

٦١. وخلاصة هذا الأمر أنه لا ينبغي الخوض في تفاصيل القحطاني لا من جهة اسمه ولا من جهة البلد التي يخرج فيها ولا من جهة أيضاً ما هي دعواه في الناس.

٦٢. وثبوت خروج القحطاني أثبت إسناداً من خروج المهدي وذلك أن البخاري قد أخرج حديث القحطاني ولم يخرج شيئاً لا هو ولا الإمام مسلم في حديث المهدي مع شهرة أخبار المهدي عند أرباب الفتن وعند عامة الناس.

٦٣. والمهدي خروجه قد صححه جماعة من الأئمة ومن أول من جزم به وقطع من السلف سفيان الثوري وصححه واحتج بالأحاديث التي أوردها جماعة من العلماء كالدارقطني و البيهقي وجماعة من المتأخرين كابن كثير و ابن حجر و الذهبي وغيرهم على صحة الأحاديث.

٦٤. وقد جاء في ذلك جملة من الأحاديث أصحها ما جاء عند الإمام أحمد من حديث أبي معبد عن عبد اللّه بن عباس عليه رضوان اللّه تعالى قال: (يخرج اللّه في آخر الزمان رجلاً من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً وأرجو كما ابتدأها اللّه بنا أن يختمها بنا)، يعني: من أهل بيته عليه الصلاة والسلام.

٦٥. وقد جاء في بعض الأخبار أن اسمه كاسم النبي عليه الصلاة والسلام وقد جاء في جملة من الأحاديث وإسنادها أيضاً لا يستقيم وقد سئل الإمام أحمد عن أصح شيء في المهدي فقال: حديث أبي معبد عن عبد اللّه بن عباس عليه رضوان اللّه تعالى وهذا أمثل شيء في هذا الباب.

٦٦. وقد أعل حديث الرايات السود الإمام أحمد عليه رحمه اللّه في علله وأعله بعض الأئمة كـإسماعيل بن علية وبه يعلم أنه لا يصح في الرايات السود خبر عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وما جاء في ذلك فهو من الأحاديث الضعيفة.

٦٧. وبه يعلم أن الجهة أو الناحية أو البلد التي يخرج منها المهدي لا يصح منها شيء.

٦٨. ولم أعلم أحداً من الأئمة من المتقدمين من أئمة النقد من أعل أحاديث المهدي وقال: لا يصح منها شيء وإنما هو في كلام بعض الأئمة المتأخرين.

٦٩. أن المهدي لا ينبغي لأهل الإسلام أن يكونوا في انتظار له فإن في ذلك شبهاً بأهل الرفض ولهذا ما يطلقونه المهدي المنتظر هذا من الباطل نحن لا ننتظر المهدي.

٧٠. وقد انتشر عند الرافضة مهدياً ليس بمهدي أهل الإسلام وهو من الدجل العظيم ولهذا أهل الإسلام يسمونه مهدياً كما جاء في النص وذلك إما أنه يمهد الأرض بالخير وقيل أنه يمهد ذلك لعيسى ابن مريم عليه السلام.

٧١. وجاء في قصد البيت الحرام بالأذية أخبار مجموعها على هذا النحو:
الأمر الأول: يكون فيه محاولة لهدم البيت الحرام وأذيته فتبوء بالخسارة وقد جاء ذلك في حديث عائشة عليها رضوان اللّه تعالى قال: (يغزو جيش الكعبة حتى إذا كانوا ببيداء إذ يخسف اللّه بهم الأرض) وهذا لم يحدث ويدل أنه آخر الزمان يكون ثمة قصد للبيت الحرام ولا يتمكنون من ذلك.
الأمر الثاني: يتبعه بعد ذلك ذو السويقتين فيهدم الكعبة وهو من الحبشة ويتمكن من هدمها.

٧٢. ومعلوم أن الدجال لا يخرج إلا في حال قبض العلم وظهور الجهل وكذلك بالنسبة للقحطاني يكون بعد ظهور المهدي على الصحيح.

٧٣. وينبغي لطالب العلم أن يعلم أن الرواة في غالب أمرهم في نقلهم للأخبار يطرأ عليهم من الوهم ويطرأ عليهم أيضاً من التقديم والتأخير مما يسوغ إذا كان ذلك لا يغير حكماً.

٧٤. والقسطنطينية هي حديثاً ما تسمى بإسلام بول وهذا أول ما سميت به ثم قلبها أتاتورك إلى الاسم الحالي ما يسمى باسطنبول وكانت عاصمة للمملكة الرومية

وقد أنشأها وأسسها قسطنطين وهو ملك الروم وقد فتحها محمد الفاتح.

٧٥. وبلاد تركيا كما لا يخفى بلاد ينتسب أهلها للإسلام مع وجود الشركيات فيها وانتشار التصوف الغالي فيها إلا أن جل السكان أو كلهم من المسلمين وسكانها قرابة (٩٩٪) من المسلمين أو أكثر من ذلك وإن كانت كذلك فلعل اللّه عز وجل أن يقيض من ينشر الإسلام فيها إسلاماً صحيحاً نقياً من الشرك والوثنية ويفتح اللّه عز وجل على يديه فتحاً ينتشر فيه الإسلام الحق النقي بعيداً عن البدعيات والشركيات.

٧٦. وسمي مسيحاً لأنه ممسوح العين يعني: ليس عين فلا توجد عين طائفة أصلاً أو لا يرى بها وإنما له عين من جهة أصل الخلقة هي عين واحدة.

٧٧. وفي حال خروجه ينبغي بل يجب على من كان في قلبه إيمان ألا يأتيه وألا يراه وكثير من الناس يرغبون النظر في الفتن عند ظهورها إشباعاً لرغبات النفوس وينساقون خلف هذه الفتن انسياقاً.

٧٨. وقد ذكر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كما جاء في حديث عمران (إن الرجل ليسمع بالدجال فيأتيه وهو يحسب أنه مؤمن)، يعني: لثقة إيمانه (فيتبعه لما يرى من الشبهات).

٧٩. وأعظم ما ينبغي للمؤمن أن يكون حذراً في هذا الزمن (المسيح الدجال) من أمور:

أولها: أن يكون من أهل العلم والمعرفة فإن العلم إذا حواه الإنسان في صدره وكان من أهل الإيمان والعبادة عصمه اللّه عز وجل بإذن اللّه عز وجل بعصمته من الوقوع في الفتن.

ثانيها: أن يعرف أسباب الوقاية من ذلك فمن ذلك ما جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام بقراءة العشر الأوائل من سورة الكهف كما جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام في الصحيح.

ثالثها: الاستعاذة من فتنته كما جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام في الصحيح وغيره بالاستعاذة قبل التسليم في الصلوات.

رابعها: أن يكون عالماً بحاله ووصفه وفتنته ومن أعظم فتنته أنه يحيي الموتى في الظاهر للناس.

٨٠. ويجب عند السماع بفتنة المسيح عدم الالتقاء به وعدم رؤيته لأن فتنته فتنة عظيمة.

٨١. وفي هذا أمر مهم جداً أن الإنسان إذا وفقه اللّه إلى الحق ووفقه إلى اليقين واطمأن قلبه على ذلك بأمر بينة وحجة ظاهرة من كلام اللّه وكلام رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عليه أن لا يعرض نفسه للشبهات والأقوال والقيل لأن قلب الإنسان ضعيف فإذا عرضه للشبهات والفتن انطوت ولهذا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أمر بأنه إذا سمع بالمسيح الدجال أن ينصرف عنه فلا يقول الإنسان: لعلي أطمئن أو لعله ليس هو المسيح وإنما هو رجل آخر ونحو ذلك هذه من التسويلات التي تدخل قلوب العباد حتى يصرفهم الشيطان عن الحق.

٨٢. ويأجوج ومأجوج هم من نسل آدم عليه السلام كما جاء عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في المسند من حديث عبد اللّه بن عمرو قال: (يأجوج ومأجوج من ولد آدم) ولا أعلم نصاً عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الأئمة المتبوعين في القرون الثلاثة من نفى أن يكون يأجوج ومأجوج من غير نسل آدم مما يدل على أنهم من البشر.

٨٣. وبه يعلم أيضاً أن المسلمين إذا كانوا في حال ضعف وكان عدوهم ذا قوة وإذا تسلط عليهم عدوهم استأصل شوكتهم وحاز على بيضتهم فإنه لا يجوز لهم ولا يدان لهم بقتالهم كما في قصة يأجوج ومأجوج في قوله عليه الصلاة والسلام: (لا يدان بقتالهم).

٨٤. فينبغي للإنسان في حال الفتن أن يلتمس المواضع التي فيها عصمة لدينه وأن يتحصن بالعلم الشرعي وأن يبتعد عن مواضع الفتن وأن يلتحق بأهل الحق ما وجد في ذلك راية كما يلتحق المؤمن بالمهدي حال ظهوره وكذلك بعيسى ابن مريم حال ظهوره.

٨٥. أما خروج الدابة فيكون في زمن يسير في ظاهر سياق الأدلة ولكن موضع الخروج ومدة المكث وانتقالها من بلد إلى بلد كل هذا مما لا يثبت فيه شيء عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

٨٦. ولم يثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام في صفة الدخان شيء معلوم ولم يثبت عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في مكانه الذي يخرج منه شيء ولم يثبت في

نوع أذيته للناس شيء عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم هل هو مما يؤذي الناس فتهلك به نفوسهم أو يحبس أنفاسهم ونحو ذلك؟ لم يثبت في تفصيل هذا من الأخبار شيء عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

٨٧. تحشر الكفار والمنافقين مما يدل على أن لهم كثرة وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: (رجل على بعير ورجلان على بعير وثلاثة على بعير وعشرة على بعير)، لكثرتهم فلا يجدون ما يركبون من كثرتهم في جزيرة العرب مما يدل على وجود الكفرة والمنافقين الخلص فيها فتحشرهم النار إلى أرض المحشر فتقوم عليهم الساعة.

٨٨. بهذا يستنبط إلى أن ما يشاهد مما يسمى بالحضارة المدنية من المركوبات أن هذا يندثر ولهذا يركبون على البعير ويمتطونها للوصول إلى أرض المحشر بل يقال: إن هذا يندثر قبل ذلك كله وقبل وجود أول أشراط الساعة الكبرى كما جاء عن النبي صلى اللّه عليه وسلم في قتال المسلمين للروم أنهم يقاتلونهم بالسيوف على نهر الأردن.

٨٩. كذلك جاء في حديث أبي هريرة عليه رضوان اللّه تعالى في نطق الشجر والحجر: (يا مسلم! يا عبد اللّه! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله) فهذا الخبر أن أسلحتهم فيها من الأسلحة ما تسمى بالأسلحة باليدوية أو الأسلحة البيضاء من السهام والرماح والسيوف وهذا فيه إشارة إلى زوال الحضارة الحديثة وقرب ذلك وهذا من حكمة اللّه سبحانه وتعالى أنه (ما من شيء ارتفع إلا وضعه) كما قال النبي عليه الصلاة والسلام، بل إنه مكن للأمم السابقة ما لم يمكن لهذه الأمة فسليمان بنى صروحاً

من زجاج لا يشركها فيها شيء.
ولم تستطع الحضارة الحالية أن تصنع أبراج من الزجاج لا يشركها فيها شيء ربما صنعت من المعادن الخالصة والثقيلة ولم تستطع هذا مما يدل على أن اللّه سبحانه وتعالى قد مكن لأهل الأرض السابقين من الحضارة والقدرة ما لا يخطر على بال أحد.

٩٠. ولهذا ينبغي للإنسان أن يحذر من ذلك حتى لو ملك زمام العلم من مسائل العلم أن يسأل اللّه عز وجل التوفيق والإعانة والصواب لأن كثرة المسائل والفتن التي يحويها الإنسان بين يديه سواء في بطون الكتب أو على صدره تكون مظنة لكثرة الاشتباه فلا يدري هذه أول أو هذه أول وينبغي للإنسان أن يتمسك بما ظهر من الأدلة وأن يتمسك أيضاً بالحقائق ولا يلتفت إلى المصطلحات التي يدعو إليها الناس أو إلى الدعاوى التي يتشبثون بها.

٩١. ولم تقع هذه الخسوف ولكن قد يقع جملة من الزلازل لكن لا يليق أن توصف بأنها هذه الخسوف لأن هذه مقرونة بأشراط الساعة الكبرى فناسب أن تكون معها.

٩٢. ولكن إذا كان من أهل الفهم والدراية لمواضع الفتن وكذلك تبعاتها عليه وعلى الناس فإنه يكون حينئذٍ من أهل العصمة فالفتنة إذا أقبلت وجب على المؤمن أن يصد عنها وألا يعترضها.

٩٣. وقد أشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى ذلك بقوله: (حتى يأتي الأعرابي)، والأعراب يغلب عليهم الجهل فلما كان كذلك كان أكثر أتباعه من اليهود لأنهم أشد الناس بعداً عن الوحي كما جاء النبي عليه الصلاة والسلام في الصحيح قال: (يتبع

المسيح الدجال سبعون ألفاً من يهود أصفهان عليهم الطيالسة) وأصفهان هي في إيران واليهود في أصفهان ما زالوا موجودين إلى يومنا هذا.

٩٤. وهذا يدل على أن الجهل في اليهود والجهل فيمن حق فيه الجهل ممن بعد عن مواضع العلم من أهل البادية وكذلك من كان ضعيف القلب يتعلق بالشبهات ويتأثر ببعض الفتن والعوارض من النساء هم أكثر الخلق اتباعاً للمسيح الدجال.

٩٥. وأما بلادهم وحالهم وموضع خروجهم وتحديدهم بأعيانهم (يأجوج ومأجوج)، فهذا مما يعلق بعلم اللّه عز وجل والاجتهاد في ذلك أمر واسع ما أنيط بذلك عمل.

٩٦. ومن علاماتهم أنهم يمرون ببحيرة طبرية فيمر أولهم ببحيرة طبرية فيشربها ويقوم آخرهم فيها فيقول: قد كان في هذه ماء وهذا من كثرتهم واستيعابهم عدداً وقد تكون بحيرة طبرية في الزمن الذي يخرجون فيه قليلة فيستوعبها ناس قليل ولكن الذي يظهر أنها جاء في سياق الكثرة وطبرية هي بحيرة في بلاد الشام وفيه إشارة إلى أن خروجهم من تلك النواحي ويريدون بلاد المسلمين وأرض الوحي.

٩٧. ومن أراد أن يلتمس موضع الدابة من جهة الخروج لا يستطيع أن يحدد ذلك من جهة الفردية بأشراط الساعة إلا أنها متضمنة لذلك وقد تكون مصاحبة لعيسى إلا أن هذه الدابة لا يظهر فيها أذى للناس في دينهم وصدهم عن ذلك كما في المسيح.

٩٨. والدخان الذي ذكره النبي عليه الصلاة والسلام في حديث حذيفة بن أسيد وجاء عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من حديث عبد اللّه بن عمرو وغيره هل خرج أم لا؟

وذكر بعض العلماء أنه خرج وهذا مروي عن عبد اللّه بن مسعود وقد جاء عن عبد اللّه بن مسعود كما عند الطحاوي وغيره من حديث أبي الضحى عن مسروق عن عبد اللّه بن مسعود قال: خمسة قد مضين من أشراط الساعة وذكر منها الدخان وجاء عن عبد اللّه بن مسعود رواية أخرى أنهما دخانان: دخان قد مضى ودخان يأتي.

٩٩. ويظهر أن طلوع الشمس من مغربها بعد خروج المسيح الدجال وبعد خروج عيسى ابن مريم وكذلك ما يتبعه من قتل عيسى ابن مريم للمسيح الدجال وخروج يأجوج ومأجوج فإن هذا يكون بعده فإذا خرجت الشمس من مغربها على الحقيقة لا ينفع النفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل وبه يحجب الناس عن التوبة.

١٠٠. ومن المعلوم أن الإنسان إذا كان من أهل الإيمان والثبات قبل انفراط عقد أشراط الساعة ثبته اللّه سبحانه وتعالى وإذا كان الإنسان من أهل الاضطراب والنفاق أو أهل الضلال فخرجت عليه هذه الأشراط وانفرطت كالعقد ازداد حيرة مما يرى من فتن عظيمة مدلهمة في الناس فيضطرب ولا يستوعبها بحثاً ولا تفكيراً ولا يجد من الوقت ما يتأمل فيه العبادة وكذلك ما يجد من الفتن أو المقاتل والشر وما يجده أيضاً من اتباع الناس للمسيح الدجال مما يصرف الإنسان عن اتباع الحق وكأنه ينتظر وينتظر حتى تخرج الشمس من مغربها ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام.

والله أعلم

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه عبدالرحمن الحسين

إخراج فريق قناة مآرب الدعوية على التيليغرام

https://telegram.me/onedawaa